حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٥ (عدد إبريل – يونيه ٢٠١٧)

http://www.aafu.journals.ekb.eg

(دورية علمية محكمة)

جامعة عين شمس

كلية الآداب

الأسلوب الحجاجي للحوار في سورة غافر (مقاربة تداولية)

عبير عبدالعزيز السهلاوي *

أستاذ الأدب والنقد المساعد- قسم اللغة العربية- كلية الآداب- جامعة الملك فيصل.

المستخلص:

يسعى هذا البحث إلى التوقف عند الأسلوب الحجاجي للحوار في القرآن الكريم، من خلال تحليل نموذج واحد.. هو الحوار في سورة (غافر)، منطلقا من أن النص القرآني ذو طبيعة حوارية، وأن الحوار هو المجال الطبعي للحجاج في إثبات دعوة الحق بالحجج والبراهين؛ من هنا يحاول البحث فهم طبيعة المحمول الدلالي للتراكيب القرآني، على مستوى النسق الحواري، فهْمَا تداوليا، يعُنى بالجانب التواصلي للأفعال الكلامية، وبقدرتها على التأثير.

الكلمات المفتاحية:

البلاغة الحديثة- الخطاب- الأسلوبية- الحجاج- التأثير

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

مقدمة:

باسم الله، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله صاحب المعجزة الخالدة، وعلى آله وصحبه، ومن والاه، أما بعد:

فقد أكرمنا بالقرآن الكريم، وجعله دستورا ومنهاجا للمسلمين، أعجز ببيانه أهل الفصاحة والبيان؛ فكان فريدا في نظمه ولفظه ومعناه، ولما كان الإسلام دين العقل والحق، فقد اعتمد الحجاج الحواري وسيلة، من وسائله المتعددة في دحض حجج الكافرين، وفي إظهار الحق في أجلى صوره وأوضحها، وقد ظهر الحوار في كثير من سور الذكر الحكيم، لا سيما منها التي تعرض قصص الأنبياء مع أقوامهم، ومن بينها قصة موسى عليه السلام مع فرعون، التي وردت في غير سياق في القرآن الكريم، ومن بينها سورة غافر التي سنتوقف عندها في هذا البحث، هذه السورة التي تقدم لنا حوارا حجاجيا بين موسى والرجل المؤمن من جهة، وبين فرعون وقومه من جهة ثانية.

و تكمن أهمية البحث في أنه يحاول رصد الأسلوب الحجاجي المُتبع في هذه السورة، ودراسة البلاغة الحجاجية فيه، دراسة تداولية تعُنى بغاياته التواصلية، وقدرته التأثيرية في المتلقين؛ وبناء على ذلك كانت أسئلة البحث الرئيسة، تتلخص بالآتي:

- كيف تشكل الحوار الحجاجي في سورة غافر؟
- وما أبرز الحجج المعتمدة فيه؟
- وكيف تجلت البلاغة التداولية في أفعاله الكلامية؟

ولعل أسبابا كثيرة كانت من وراء اختيار هذا البحث، ومن أبرزها: الأمل في خدمة كتاب الله ﷻ، وخصوبة البحث في المجال التداولي وغناه، بالإضافة إلى الرغبة بالتوقف عند ما تكشفه الآيات المدروسة من معاناة للرسل في إبلاغ دعوة الحق، وما يقدمه هذا الخطاب من عبرة وعظة.

ونشير إلى استفادة البحث من دراسات سابقة عدة، تأتي في مقدمتها كتب التفاسير التي فصلت القول في تفسير السورة وتجلية معانيها، كما استفاد البحث من دراسات سابقة عدة، توقفت عند الحوار في القرآن الكريم، لعل من أبرزها:

- (الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية)، لعبد الله صولة.
- (أساليب الإقناع في سورة يوسف، دراسة لسانية تداولية)، لأحمد مزواغي.
- (الخطاب القرآني، مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي) لسليمان عشراتي، وغيرها كثير.

وبناء على ما سبق، فتم تقسيم البحث إلى مدخل ومبحثين، حاولنا في المدخل تقديم تأسيس اصطلاحي لمصطلحات: التداولية، والحوار، والحجاج، وبينا أهداف الحوار الحجاجي في القرآن الكريم، ودرس المبحث الأول: الحجاج التداولي العقلي في سورة غافر، وتوقف عند مقاصد الكلام فيها، من خلال التوقف عند مستويات الحجاج المنطقي في الحوار، والتوقف عند نتائج الحوار، والأهداف التداولية له في السورة.

وتناول المبحث الثاني البلاغة التداولية، وأفعال الكلام في سورة غافر، فتوقف عند الأفعال الإخبارية، والأفعال الإنشائية، وحاول رصد أثرها في تحديد مقاصد الكلام، ثم ختم البحث بخاتمة، وضحت أهم النتائج المستخلصة.

واعتمد البحث على المنهج اللساني التداولي، انطلاقا من أن التداولية منهج للتواصل والإقناع معا، ينطلق من السياق والحجاج والحوار، والأفعال الكلامية، وهذه جميعها تشكل منطلقات ركائزية للتحليل في هذا البحث.

مدخل:

برز اتجاهان لغويان في الدراسات اللسانية المعاصرة، الاتجاه الأول هو الاتجاه الصوري، وهو يعُنى بدراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، بعيدا عن السياق الذي أنجز فيه الكلام، وظهر كنتيجة عن القطيعة التي أحدثتها الدراسات البنيوية عن السياق بوجه عام، والاتجاه الثاني هو الاتجاه الوظيفي، الذي اهتم بدراسة وظائف الكلام في السياق، وإلى هذا النوع من الدراسات تنتمي الدراسات التداولية.

ولقد يرجع مصطلح التداولية في الدراسات الغربية إلى كلمة pragmatics ويعني العمل أو الفعل [١]، والتداول في دلالته اللغوية في المعاجم العربية دال على الانتقال، والتحول بين طرفين [٢]، وهذا ما ينطبق على اللغة، فهي متحولة بين طرفين: المتكلم والمتلقي، وقد لقي هذا المصطلح ابتداء من سبعينيات القرن المنصرم رواجا بين الدارسين العرب، على حساب مصطلحات أخرى، كالذرائعية، والنفعية، والسياقية؛ لتناغم دلالاته اللغوية مع دلالاته الاصطلاحية، فهو دال على الاستعمال، والتفاعل معا [٣].

وأما التداولية في الاصطلاح، فهي تهتم بدراسة الكلام في الاستعمال، كما تهتم بوصف العلاقة بين المرسل، والمتلقي أثناء العملية التواصلية، كما أنها تعنى بالحدث اللغوي لفهم قصد المتكلم [٤]، وقد طرحت تعريفات عدة لها، انطلقت من أقطابها الثلاثة، المرسل والخطاب والمتلقي، فالباحثون الذين جعلوا المرسل مركز الدراسة التداولية، عرفوا التداولية على أنها: "كيفية إدراك المعايير، والمبادئ التي توجه المرسل عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية، في ضوء عناصر السياق، بما يكفل ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده، وتحقيق هدفه" [٥].

وأما من ركز على الخطاب في فهمه للتداولية، فقد عرفها على أنها: "مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية، التي تعُنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضايا التلاؤم بين التعابير الرمزية، والسياقات المرجعية والمقامية" [٦]. وأما من ربط التداولية بالمتلقي، فعرفها على أنها: "فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم، أو دراسة معنى المتكلم، فقول القائل: أنا عطشان، مثلا، قد يعني: أحضر لي الماء، وليس من اللازم أن يكون إخبارا بأنه عطشان" [٧].

وبناء على ما سبق، يمكن القول إن سمتي الشمول والتشعب من أهم ما يميزها، ومن هنا أتت صعوبة تحديد تعريف جامع مانع لها، فهي: "مجموعة النظريات نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات، ومتساوقة في النظر إلى اللغة بوصفها نشاطا، يمُارس ضمن سياق متعدد الأبعاد، وعلى الرغم من عدم الوضوح الذي يكتنف التداولية، فإن مجمل الأفكار والملاحظات والتساؤلات، التي لم تتمكن الدارسة اللسانية من الإجابة عنها، قد وجدت سبيلها في هذا الاتجاه" [٨].

فهي ترى أن اللغة "ظاهرة خطابية تواصلية اجتماعية، مكرسة لإنتاج المعنى، والدلالة في هذه الأطر"[٩] ، وتعُنى التداولية بالإجابة عن الأسئلة الآتية: من يتكلم؟ ولماذا؟ وماذا يقول؟ وماذا نصنع عندما نتكلم؟ [١٠].

وإذا كانت التنظيرات للتداولية غربية المنشأ، والأصول، فإننا لا نعدم وجود جذور لها في تراثنا العربي، في الأبحاث البلاغية والنقدية، ويمكن أن يلمح هذا الأثر بوضوح في مصطلح المقام؛ إذ يعد "من أبرز المفاهيم التي ارتبط استعمالها بالبلاغة، ويعد أساسا منهجيا متينا لمباحث بلاغية كثيرة، مثل: التقديم والتأخير، وأضرب الخبر، وأساليب التوكيد والنفي، وغيرها، مما اعتبر أداة إجرائية عليها التعويل في تحليل النصوص وتأويلها، وفي الدرس اللساني المعاصر نال مصطلح المقام الاهتمام البالغ، خاصة ضمن الاتجاه الوظيفي التداولي، وأخذ أبعادا أعمق في مسارات التحليل، وفي علاقة اللغة بالاستعمال وبالدلالة"[١١].

والمحاورة والحوار لغة، المرادة في الكلام، ومنه التحاور[١٢]، والحوار: الجواب، يقال: كلمته فما رد إلي حوارا، أو حويرا؛ أي: جوابا [١٣]، ومن معاني المحاورة أيضا: المجاوبة من فعل حاور الدال على المشاركة [١٤].

فالحجاج حديث بين شخصين، يتداولان الكلام بينهما، بتكافؤ؛ فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، بعيدا عن الخصومة والتعصب [١٥]، يتناولان الحديث "عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع، أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يقنع أحدهما الآخر، ولكن السامع يأخذ العبرة، ويكون لنفسه موقفا " [١٦].

ويرُاد بالحجاج الإبانة والإقناع باستخدام دلائل عقلية، وعلمية، ولغوية، ويتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، أو إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمنزلة حجج، وبعضها الآخر هو بمنزلة النتائج التي تسُتنتج منها [١٧].

وهي نظرية لسانية "تهتم بالوسائل اللغوية، وبإمكانات اللغات الطبيعية، التي يمتلكها المتكلم من أجل تحقيق أهداف حجاجية، فهي تنطلق من فكرة مفادها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير" [١٨]، و"أن الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج، وأن المعنى ذو طبيعة حجاجية" [١٩]، وتهدف هذه النظرية إلى تبيان أن اللغة تحمل بصفة ذاتية، وجوهرية وظيفة حجاجية، لوجود مؤشرات كثيرة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها.[٢٠]

وقد أطلق على الاتجاه الذي يوفق بين التداولية، والحجاج تسمية "التداولية المدمجة"، وقد رفض أصحابه الفصل بين الدلالة وموضوعها (معنى الجملة)، والتداولية وموضوعها (استعمال الجملة في المقام)، [٢١] فبحث التداولية المدمجة "في القوانين التي تحكم الخطاب داخليا لاكتشاف منطق اللغة"، [٢٢] ويتكون كل حوار حجاجي من مكونات عدة، أبرزها:

- المبادلة في الحوار: فالطرفان المتحاوران يتبادلان الكلام، "فينطلق المتحاور في إنتاج الكلام، وفي ذهنه مجموعة من القدرات اللسانية، يستحضر منها ما يوفر له عملية التواصل، فترد الألفاظ متسلسلة، ومحكومة بعلاقات توزيع محكمة؛ حتى يتمكن المرسل من الاسترسال في الكلام". [٢٣] وتقوم على السؤال والجواب، بين طرفين متعارضين، يدلي أحدهم بحجته، ثم يلقى رد الطرف الآخر المعرض لها.
- الأفعال اللغوية: وفي هذا السياق يرى أوستن أن: "الأقوال هي أيضا أفعال، بل إن الكلام فعل في حد ذاته" [٢٤]، والأفعال اللغوية تكون رئيسة، تحمل المعنى المهم، وثانوية مساعدة للفعل الرئيس، وتتحقق حجاجية الخطاب إذا تحققت جملة من الشروط، هي: [٢٥]

- شرط المضمون القضوي، فعلى المتكلم أن يأتي بمجموعة من الأحكام الجازمة، التي ينطوي كل منها على قضية مخصوصة.
- الشرط الجوهري، يحاول المتكلم فيه إثبات الدعوة وإقناع المستمع.
- شرط الصدق، فعلى المتكلم أن يقتنع بصدق دعوته.
- الشرط التمهيدي؛ إذ ينبغي على المتكلم أن يعتقد سلفا أن السامع لا يسُلم بدعوته.

وقد استعمل الحوار في القرآن الكريم باعتباره أداة في إدارة الكلام، فقد ظل الخطاب القرآني يمارس فعالياته التبليغية بمنطق توصيلي، يرتكز على عقلنة المعطيات في افتراضها وفي طرحها، فكان له في فاعلية المحاورة وربط الصلة الفكرية مع المتلقي واسطة تبليغ نافذة وأساسية [٢٦]. " فالخطاب القرآني كان يراعي شروط التلقي، ودرجات الاعتقاد، ومدارك المتلقين، وأوضاعهم الزمانية والمكانية، استجابة لدواعي الإقناع، ومسلكيات التخاطب، وأنماطه السلوكية، وبنياته البيانية، وأسسه المنطقية، وسلمية

الاستدلالات العقلية، وحركية الأفعال الحجاجية، كل ذلك بغية إنشاء التواصل، وتحقيق الحوار" (٢٧).

ويؤكد ذلك ورود لفظة الحوار في غير موضع من القرآن الكريم، كما نلاحظ في قوله تعالى: (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) [الكهف: ٣٤] وقوله تعالى: (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا) [الكهف: ٣٧] وقوله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّـهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّـهِ وَاللَّـهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّـهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) [المجادلة : ١].

ويظهرُ معنى الحوار في الآيات السابقة الجوانب الآتية: (٢٨)

- طرح الإشكالية، وهي في الآيات، إشكالية الكفر بالنعم.
- الاستماع، وهو من مقتضيات الحوار.
- الموضوع، فلا بد من موضوع واحدٍ، يتناوله الحوار، وقد تناولت الآيات: مسألة الجنة، ومسألة الكفر، ومسألة الميثاق الغليظ.
- أطراف الحوار، الذين يتناوبون على الحوار.

ويمكن إجمال أهداف الحوار في القرآن الكريم بجملة من الأهداف التداولية، تتمثل بالبحث عن الحق، وكل ما من شأنه أن يحقق الخير والصلاح والأمن والسكينة والسلام بين الناس (٢٩)، هذه القيم التي لخصها قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّـهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّـهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات: ١٣] فالتعارف هو لفظ جامع لكل تلك الدلالات، فهو يشمل كل ضروب التعايش الإنساني.

المبحث الأول: الحجاج التداولي العقلي في سورة غافر.

سُميت بهذا الاسم (غافر)؛ لأن الله تعالى ذكر هذا الوصف الجليل- الذي هو من صفات الله الحسنى - في مطلع السورة الكريمة (غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۖ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) [غافر: ٣]، وكرر ذكر المغفرة في دعوة الرجل المؤمن (وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ)[غافر:٤٢]، وتسُمى سورة المؤمن، لذكر قصة مؤمن آل فرعون، مكية، ما عدا الآيتين ٥٦، ٥٧ فمدنيتان، وجاء في تفسير القرطبي: "وتسمى سورة الطول وهي مكية في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر، وعن الحسن إلا قوله: (وَسَبِّح بِحَمْدِ رَبِّكَ)؛ لأن الصلوات نزلت بالمدينة. وقال ابن عباس وقتادة: إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة وهما (إِنَّ الذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ)، والتي بعدها" (٣٠).

وقال ابن كثير: "قد كره بعض السلف، منهم محمد بن سيرين أن يقال: "الحواميم"، وإنما يقال: "آل حم" قال عبد الله بن مسعود: "آل حم" ديباج القرآن، وقال ابن عباس: إن لكل شيء لبابا، ولبُاب القرآن "آل حم"، أو قال: الحواميم، و يقال لهن: "العرائس." وقيل: إن مثل القرآن كمثل رجل، انطلق يرتاد لأهله منزلا؛ فمر بأثر غيث فبينا هو يسير فيه ويتعجب منه، إذ هبط على روضات دَمِثات فقال: عجبت من الغيث الأول، فهذا أعجب وأعجب؛ فقيل له: إن مثل الغيث الأول مثل عِظم القرآن، وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات، مثل آل حم في القرآن، وقال ابن عباس: لكل شيء لباب، ولباب القرآن الحواميم"(٣١).

وجاء عن أبي هُرَيرة، ﷺ، أنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: "من قرأ آية الكرسي، وأول حم المؤمن، عُصِم ذلك اليوم من كل سوء" (٣٢)، وروي أن النبي ﷺ قال: "لكل شيء ثمرة، وإن ثمرة القرآن ذوات حم، هن روضات حسان مخصبات متجاورات، فمن أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم" (٣٣).

وأما عن النص الحواري في سورة غافر فهو الحوار المدروس في الآيات الذي يقدم لنا نموذجا من نماذج الصراع القائم بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، وبين الخير والشر، وهي تعبر عن سُنة كونية، نشهدها في كل زمان وفي كل مكان، ما دام هناك حق وباطل، وما دام هناك فئة تمثل الحق، وأخرى تدعم الباطل.

وتندرج الآيات ضمن القصص القرآني، الذي يحكي قصة نبي الله موسى مع فرعون، وتحضر في الحوار شخصية الرجل المؤمن، الذي وعى حقيقة الإيمان، فأبت عليه عقيدته إلا أن ينافح عن الحق، ويُدافع عنه، وقد شكل دفاعه ذاك محور آيات الحوار.

ونشير في هذا السياق، إلى أن حوار موسىعليه السلام مع قومه في القرآن، "هو الحوار الأكثر تكرارا من جهة، والأكثر تفصيلا من جهة أخرى، في إشارة إلى عناية القرآن بهذا النموذج من الحوار، ولفت الانتباه إليه؛ لمزيد من الاتعاظ والتنور بحكمته، وقد شرح لنا القرآن هذا الحوار في كثير من الأطوار، والمواقف التي مرَّ بها نبي الله موسى وعاصرها في حياته، ومع كثير من الفئات والأشخاص في قومه وخارج قومه" [٣٤]، وجاء هذا الحوار في إحدى عشرة سورة؛ تسع مكية واثنتين مدنية [٣٥].

وابتدأ الحوار في السورة الكريمة من الآية الثالثة والعشرين، واختتم في الآية الثانية والخمسين، وهو بذلك من الحوارات الطويلة التي وردت في القرآن الكريم دفعة واحدة، ونص الحوار في سورة غافر، يتمثل من قوله تعالى في الآيات:

(وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥)الْغَفَّارِ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧) وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّـهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّـهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّـهِ إِن جَاءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّـهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّـهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّـهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّـهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّـهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (٣٤) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّـهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّـهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّـهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) وَيَا قَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّـهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّـهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّـهِ ۚ إِنَّ اللَّـهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) فَوَقَاهُ اللَّـهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ۖ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ

الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦) وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّـهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۚ قَالُوا فَادْعُوا ۗ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠) إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢)

ولنا أن نعرض هنا إلى الحجاج التداولي العقلي، ومقاصد الكلام، فإن حد الحجاج: "فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي؛ لأن طابعه الفكري مقامي، واجتماعي، وهو أيضا جدلي؛ لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع، وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة، فالانتقالات فيه لا تُبنى على صور القضايا وحدها، كما هو شأن البرهان، بل على هذه الصور مجتمعة في مضامينها، وأن يطوى في هذه الانتقالات كثير من المقدمات وكثير من النتائج، وأن يفهم المتكلمُ المخاطبَ معاني غير تلك التي نطق بها، تعويلا على قدرة المخاطب على استحضارها، إثباتا أو إنكارا، كلما انتسب إلى مجال تداولي مشترك مع المتكلم" (٣٦).

والقضية الأساس التي كانت محور الحجاج في الآيات هي قضية الصراع بين الإيمان والكفر؛ وبناء عليه يعرض الحوار الحجج المؤيدة لكل طرف، على النحو الآتي:

لقد بلغ موسى رسالته ودعوته قومه إلى الإيمان، واستند في ذلك (سلطان مبين)؛ أي: إلى جملة من الحجج والبراهين(٣٧)، التي تدعم دعواه، وتخرس خصومه الناطقين بالباطل وتلقمهم حجرا، والنتيجة المنطقية لذلك أن يؤمن فرعون وقومه؛ خضوعا لتلك البينات القاطعة، ولكن فرعون قد استكبر، بل ذهب إلى ما هو أخطر من النكران، عندما شاور أتباعه في هذا الأمر الخطير، وأشار عليهم بقتله نلاحظ هنا أن الحوار الحجاجي قد بدأ بعرض الحجة الأقوى، وهي حجة الدعوة إلى الإيمان بعد عرض البراهين، ثم انتقل بعدها إلى عرض حجج الرفض، والدعوى لقتل موسى عليه السلام.

وقد استند خطاب فرعون هنا، إلى حجج قائمة على الخبث، الذي يتميز به كل طاغية عندما يهُدد عرشه، (إِنِي أَخَافُ أَنْ يبُدِلَ دِينكمْ أَوْ أَنْ يظهرَ فيَ الأَرْضِ الفسَادَ)، فالخوف هنا على تبديل دين الناس، هو ذريعة استغلالية، تراهن على إيقاظ مشاعر العامة على ما عهدته، وألفته من معتقدات، كما أن الخوف من أن يظهر موسى عليه السلام الفساد في الأرض يتعارض مع دعوى الحق المثبتة بالبينات كما جاء في الآية الأولى في الحوار، فبالتالي فالتسلسل الحجاجي الأول في الحوار يسير النحو الآتي:

- رسالة موسى المدعومة بالحجج والبراهين النتيجة المنطقية: الإيمان.
- الاستكبار من قبل فرعون النتيجة: موسى ساحر + القتل.
- التهديد بالقتل: نتيجته لجوء موسى إلى ربه.

وهنا تبرز شخصية الرجل المؤمن من قوم فرعون، في قوله تعالى: (وَقالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ)، والسمة الأولى له أنه: (يَكتمُ إيمَانهُ)، ولكن لفظ (قال) دال على انتقال ذلك الإيمان من مرحلة الكتمان إلى مرحلة العلنية، والمسوغ لذلك، تعرض نبي الله موسى للتهديد بالقتل، فهذا استدعى النطق بالحق على لسان المؤمن، وقد اتخذ عرض دعوى الإيمان أساليب شتى، اتخذت من الحجاج المنطقي شكلا لها، ويبرز ذلك من خلال دفاعه عن النبي موسى، وقد تواتر الحجاج فيها على مستويات عدة:

المستوى الأول: عرض القضية، وفرضياتها: (وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّـهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّـهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ).

فالخطاب الحجاجي هنا هو حجاج يضمر في طياته النصح والإرشاد، ومحاولة الإقناع، فهو يبدأ بتصوير فظاعة ما هم مقدمون عليه، من خلال سؤال استنكاري مفاده أنه لا يعقل أن يقتل موسى؛ لأنه مؤمن بالله، ويدعو إليه، ثم يدعم قوله بحجة منطقية تجعل القتل غير مسوغ، مفادها أن موسى قد قدم براهينه أمامكم فلا مجال لإنكارها.

ولما كان الجحود والإنكار هما ما يميزان فرعون وقومه، فإن الخطاب ينطلق بعد ذلك لعرض دفاعه عن موسى بطريقة منصفة، فهو أي موسى إن كان كاذبا، فعليه كذبه، يتحمل جريرته، لكن السؤال الموجه إلى قوم فرعون، الذي يمثل الفرضية الأخرى: ماذا لو كان صادقا؟ وهذا دال على منتهى الإنصاف في الحوار والجدل، وبالتالي على السامع أو المُخاطب أن يضع نفسه أمام هاتين الفرضيتين؛ ليرى أي النتائج ضررها عليه أكبر؟ وفق الاستراتيجية الدلالية الآتية:

- كذب موسى نتيجته تعود بالضرر عليه وحده فقط .
- صدق موسى (مع قتله) نتيجته تعود على الجاحدين به يوم الحساب.

فخطاب الرجل المؤمن يعتمد الحجة المنطقية التي تفحم الخصم، التي تنتهي بنتيجة حاسمة، تتمثل في الآية: (إِنَّ اللَّـهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨))، فلو "كان هذا الذي يزعم أن الله أرسله إليكم كاذبا كما تزعمون، لكان أمره بينا، يظهر لكل أحد في أقواله، وأفعاله تكون في غاية الاختلاف والاضطراب، وهذا نرى أمره سديدا ومنهجه مستقيما، ولو كان من المسرفين الكذابين لما هداه الله، وأرشده إلى ما ترون من انتظام أمره وفعله"(٣٨).

والمستوى الثاني: عرض الأدلة، وهنا يعرض الحوار المقدم على لسان الرجل المؤمن مجموعة من المسوغات التي يجب أن تنهى فرعون وقومه عن فعل القتل أولا، وتؤدي بهم إلى الإيمان ثانيا، فتتمثل الأدلة في:

الدليل الأول: ويتضح ذلك في قوله تعالى: (يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّـهِ إِن جَاءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩)) فالخطاب هنا تحذيري من الرجل المؤمن لقومه، فالنعمة التي هم فيها، من سلطة وجاه، هي من نعم الله عليهم؛ لذلك وجب عليهم مراعاتها، وتصديق النبي موسى؛ لأن العاقبة إن أراد الله بهم السوء ستكون وخيمة، وتظهر براعة الرجل المؤمن في الإقناع من خلال استخدامه ضمير الجماعة الذي يشمله هو وقومه معا في المصير (ينصرنا، جاءنا)، فهو واحد منهم، ويجمل نفسه معهم؛ ليشعرهم أن أمرهم يهمه، يريد نصحهم ويشفق عليهم من عاقبة المصير.

ولكن مواجهة هذا الدليل، أو هذه العاقبة المتوقعة التي يعرضها الرجل المؤمن تواجه بالنكران أيضا والاستكبار،(ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩))، فالطاغية هنا يرى نفسه بجانب الرشاد والخير والصواب، وهذا ما يستدعي من الرجل تقديم أدلة أخرى؛ لعلها تفلح معه ومع قومه، تتراوح بين دليل تذكيري ودليل عقابي.

والدليل الثاني: دليل تذكيري، ويتمثل في قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّـهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ (٣١))

فالخطاب هنا تذكيري، يحاول من خلاله الرجل المؤمن أن يطرق قلوب قومه بإيقاع آخر، متمثل بلفت انتباههم إلى مصارع الأحزاب من قبلهم، "الذين كذبوا رسل الله في قديم الدهر، كقوم نوح وعاد وثمود، والذين من بعدهم من الأمم المكذبة، كيف حل بهم بأس الله، وما رده عنهم راد، ولا صده عنهم صاد؟"(٣٩).

والدليل الثالث: دليل عقابي، (وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّـهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّـهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣))، فبعد أن يعرض مصير الأقوام السابقة التي كذبت رسلها، يتوجه الرجل المؤمن بالخطاب إلى قومه؛ ليخبرهم بمصيرهم يوم القيامة إذا هم بقوا مُصِرّين على نكراهم، إنها صورة مفزعة، تسمع فيها الأصوات الصاخبة، ويبرز فيها المجرمون فارين، ولات حين فرار.

والدليل الرابع: دليل تذكيري، (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّـهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّـهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (٣٤))، فإذا كانت الأدلة السابقة قد عرضت مصير(الأحزاب)، فإن الدليل هنا، يأخذ مزيته الإقناعية من قومه أنفسهم؛ لكي يعتبروا مما فعلوا؛ إذ يعود الرجل المؤمن إلى تذكير قومه بموقفهم من النبي يوسف.

وقد كان عزيز مصر، وكيف وقفوا موقف الشك من رسالته، ومما جاء به من الآيات، ولكنهم أطاعوه؛ طلبا للجاه الدنيوي، ولما هلك استراحوا لموته، فزعموا أنه لن يجيئهم من بعده رسول، نلاحظ هنا أن الرجل المؤمن يشتد، وهو يشير إلى هذا الارتياب والإسراف في التكذيب؛ فينذرهم بإضلال الله، الذي ينتظر كل مسرف مرتاب.(٤٠)

والدليل الخامس: المجادلة بلا براهين، وهو ما نلاحظه في قوله تعالى: (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّـهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّـهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّـهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥))

ويعرض الرجل المؤمن في هذا السياق، مصير أولئك الذين "يدفعون الحق بالباطل، ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة، فإن الله يمقت على ذلك أشد المقت؛ ولهذا قال تعالى: (كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّـهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا)، والمؤمنون أيضا يبُغضُون من تكون هذه صفته، فإن من كانت هذه صفته، يطبع الله على قلبه، فلا يعرف بعد ذلك معروفا، ولا ينكر منكرا؛ ولهذا قال: (كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّـهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ)، على اتباع الحق، و(جَبَّارٍ)؛ أي: قاتل، وآية الجبارين القتل بغير حق(٤١).

أما عن المستوى الثالث، وهو نتائج الحوار فيقدم لنا الحوار جملة من النتائج، هي:

مراوغة فرعون في رفض البراهين، وبعد أن عرض الرجل المؤمن أدلته، على فرعون وقومه، معتمدا منطق الفطرة المؤمنة في حذر وقوة ومهارة، ظل فرعون مصرا على ضلاله متنكرا للحق، ولكنه تظاهر بأنه آخذ في التحقيق في دعوى موسى عليه السلام: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧)).

فإنها المدارة والمراوغة كي لا يواجه الحق جهرة، وكي لا يعترف بدعوة الوحدانية التي تهز عرشه، وطلب فرعون ما هو إلا استهتار، وسخرية يخفيها تحت تظاهره بالإنصاف والتثبت في طلب بناء الصرح، وهكذا أصر فرعون على نكرانه وتبجح في جحوده، فهو مستحق لأن يصد عن السبيل، ويمُنع عن الإيمان؛ لأنه منع عقله من التدبر، وقلبه من التبصر، وحارب ربه وقاتل رسوله، وقتل مخلوقاته، فحق عليه غضب الله،

فأصمه عن الاستماع، وصده عن سبيل الإيمان، عقوبة له على غيه، من هنا سيكون مصيره الخيبة والدمار والخسران (ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ).

وجاء تذكير الرجل المؤمن بحقيقة الحياة الدنيا، وأمام تلك المراوغة وذاك الاستهتار من فرعون، يلقي الرجل المؤمن كلمته الأخيرة أمام قومه: (٤٢) (يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠))

فالرجل المؤمن هنا يتحدى فرعون تحديا صريحا في قوله: (أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ)، وهو يكشف حقيقة الحياة الدنيا، فما هي إلا ربيع خيالي، ومتاع زائل، أما الحياة الآخرة، فهي دار القرار، ويقرر لهم قاعدة الحساب والجزاء فيها، فالعقاب على قدر السيئات، والثواب مضاعف، وهذا من كرم الله ﷻ على العباد.

وتجيء هنا نتيجة منطقية أن يستنكر الرجل المؤمن أن يدعوهم إلى الخير والنجاة، في مقابل دعوتهم له إلى النار والهلاك (وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١)) هم يدعونه إلى الشرك والكفر، وهو يدعوهم إلى الإيمان، ومن ثمة يقرر من غير شك ولا ريبة، أن هؤلاء الشركاء ليس لهم من الأمر شيئا وأن المرد إلى الله وحده؛ حيث تكون النارُ مصيرَ المسرفين المتجاوزين للحد في الادعاء: (تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ(٤٣)).

وشخص تفويض الرجل المؤمن أمره إلى الله، وهو ختام الحوار والجدل مع فرعون وقومه، فلم يبَقَ أمام الرجل المؤمن بعد هذا البيان الواضح الشامل للحقائق الرئيسة في العقيدة، إلا أن يفوض أمره إلى الله، مهددا هؤلاء القوم بأنهم سيذكرون كلمته في موقف لا تنفع فيه الذكرى: (فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤)).

أما عن المستوى الرابع، وهو خطاب ما بعد الموت، فقد يسجل لنا السياق الحواري بعد ذلك لقطات من الموقف الأخير، يوم الحساب، بعد أن طويت الدنيا؛ ليظهر لنا مصير الرجل المؤمن، قد وقاه الله سيئات مكر فرعون وقومه، ولم يصبه من آثارها شيء، بينما حاق بآل فرعون سوء العذاب، من خلال عرضهم على جهنم وشدائدها؛ حيث يسامون أشد أنواع العذاب، (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ۖ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦))، وهذا ما يظهر في محاججاتهم غير المجدية، وهم يلاقون مصيرهم في النار.(وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۚ قَالُوا فَادْعُوا ۗ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠) إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢))، فالنتيجة الحاسمة أن الله ناصر رسله، ومقيم للحق.

وأما عن الأهداف التداولية للحوار، فإن الحوار القصصي لهو أسلوب من أساليب البيان، وطريقة من طرق العرض، التي سلكها القرآن الكريم؛ لإبلاغ دعوته الدينية، وتثبيتها في نفوس المخاطبين وعقولهم، ويمكننا أن نجمل الأهداف، التي اشتملت عليها آيات الحوار في سورة غافر بما يلي:

- هدف خاص، موجه إلى النبي محمد ﷺ ، يبغي تثبيته، من خلال بيان أن الله ﷻ ينصر أنبياءه، وهو موجه إلى المتلقين في زمانه يهدف إلى التأثير في نفوسهم، ويدعوهم إلى الإيمان.
- هدف عام، موجه إلى المتلقين في كل زمان ومكان، يهدف إلى بيان عاقبة الإيمان، وعاقبة الجحود والنكران والفساد في الأرض.
- هدف قيمي، يرمي إلى إبراز المعاني الدينية، التي ظهرت على لسان شخصية المؤمن، تظهر قيمة الإيمان والعبادة، وتقرر مبادئ الحوار القائم على الصدق، والنصح العاطفي والعقلي.

المبحث الثاني: البلاغة التداولية وأفعال الكلام.

إن الهدف الأساس من البلاغة التداولية، هو تمكين مستعمل اللغة الطبيعية من استخدام العبارة اللغوية المناسبة بالنظر إلى وضع متلقيه، وإلى الموقف التواصلي برمته. (٤٣) وقد أتت المناظرة الحوارية بين الرجل المؤمن، وفرعون ضمن النسق الحواري العام في القرآن الكريم متوافقة مع عادات العرب في مخاطباتهم، ومراعية لخصوصية لسانهم، بهدف تحقيق الإقناع من خلال استعمال كل الأشكال اللغوية الممكنة، وفق قاعدة تداولية كان الزركشي قد عبر عنها بقوله: "فالمائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض، الذي لا يعرفه إلا الأقلون، ولم يكن ملغزا، فأخرج تعالى مخاطباته في مُحاجة خلقه في أجلّ صورة، تشتمل على أدق دقيق؛ لتفهم العامة من جليلها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفي على ما أدركه الخطباء" (٤٤).

وفي المستوى الحجاجي اللغوي تستعمل فيه الوسائل اللغوية مثل التراكيب الدالة على الثبوت، والأساليب الإقناعية المنطقية مثل الشرط والاستثناء، وبناء الجمل على هيئة قضايا منطقية، تبدأ بمقدمات، وتنتهي بنتائج ومسلمات.

وأما عن الأفعال الكلامية، فسيقف البحث عند الأفعال الكلامية في سورة غافر، من وجهة نظر تداولية تركز على دورها وقيمتها الحجاجية، "فمن المعلوم أن للفعل الكلامي وظائف تداولية مرتبطة بقصد المُخاطِب، من أهمها: "وظيفته الحجاجية " التي تزيد من فاعليته الإنجازية، ولا سيما تلك المرتبطة بوظيفتي التأثير والإقناع" (٤٥) ، وقد قسم الباحث طه عبد الرحمن الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أقسام، هي: (٤٦)

الفعل الكلامي: هو فعل التلفظ بصيغة ذات صوت محدد، وتركيب مخصوص، ودلالة معينة، وقد يترجم إلى فعل النطق.

الفعل التكلمُّي: هو الفعل التواصلي الذي تؤديه هذه الصيغة التعبيرية في سياق معين، وقد يترجم إلى فعل الإنجاز.

الفعل التكليمي: هو أثر الفعل التكلمُّي في المستمع، وقد أشار طه عبد الرحمن إلى مصطلح التكليم؛ لأنه يعد أخص من الكلام، وهو متعلق بالمخاطب، وليس كل كلام خطابا للغير، ويترجم الفعل التكليمي إلى فعل الأثر أو التأثير؛ لأنه يستهدف المخاطب.

ويستعمل المخاطب الفعل الكلامي المباشر عندما يولي عنايته لتبليغ قصده وتحقيق هدفه الخطابي ورغبته في أن يكلف المتلقي بعمل ما، أو يوجهه لمصلحته من جهة، وإبعاده عن الضرر من جهة أخرى، أو توجيهه لفعل مستقبلي معين، ويفترض أن يتوجه المخاطب بخطابه إلى التكثير من فائدة المتلقي، فيستعمل هذه الاستراتيجيات في شكلها الأكثر مباشرة للدلالة عن قصده، كالأمر والنهي الصريحين (٤٧).

وأما عن الأفعال الإخبارية، فهي مجموعة الأفعال الواردة في الجمل الخبرية، التي تهدف إلى إقامة الحجة والدليل، وتكمن قوتها في الأثر المتولد عنها من خلال مطابقته لحال

المتلقين، ومناسبته للسياق الذي قيلت فيه، والمعاني المستفادة منها من خلال القرائن السياقية، ويمكن إبرازها من خلال الأمثلة الآتية:

- (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤))
- (قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩))
- (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّـهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّـهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (٣٤)
- (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّـهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّـهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّـهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥))
- (فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّـهِ ۚ إِنَّ اللَّـهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤))

لقد شكّلت الجمل الخبرية في هذه الآيات بناء حجاجيا محكما، يثبت الهدف العام من قصص القرآن، ففيها عبرة وعظة وتذكرة لأولي العقول، وإنقاذ للبشرية من الضلالة إلى النور، كما أن أفعال الكلام فيها وجهت مسار الحجاج إلى الإقناع بما تضمنته من دلائل وإثباتات، تتمثل بما يلي:

- لقد بلغ موسى عليه السلام دعوة ربه، وهي دعوة الحق، ودعمها بالحجج والبراهين الواقعية، فأبى فرعون القبول والامتثال.
- إظهار كذب خطاب فرعون بادعائه هداية الناس إلى طرق الرشاد [٤٨].
- عرض الأدلة المتصلة بقوم فرعون، فهم أنفسهم من كذبوا يوسف عليه السلام قبل موسى عليه السلام، فالحجة عليهم "بأن التكذيب للناصحين، واضطراب عقولهم في الانتفاع بدلائل الصدق قد ورثوه عن أسلافهم"[٤٩].
- التأكيد بأن الذكرى قد لا تجدي نفعا بعد فوات أوانها، يوم الحساب.
- تفويض الأمر لله يحفظ المؤمن من كل سوء، ففي قوله تعالى: (وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّـهِ ۚ إِنَّ اللَّـهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) فَوَقَاهُ اللَّـهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا)" دليل واضح على أن التوكل الصادق على الله، وتفويض الأمور إليه، سبب للحفظ والوقاية من كل سوء، وقد تقرر في الأصول أن الفاء من حروف التعليل، وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من كون التوكل على الله سببا للحفظ، والوقاية من السوء" [٥٠]. فلقد جاء الإخبار في الآيات السابقة؛ ليحقق المقصود من الكلام، وهو العظة والاعتبار.

وأما عن الأفعال الإنشائية، فقد ينوع المرسل داخل النص أساليب خطابه، فقد يعتمد على تركيب دون آخر؛ لأنه يلتمس فيه القدرة على استمالة المتلقي والتأثير فيه، وإقناعه بالقضية المطروحة في الحوار، ومن هنا تكون الاختيارات التركيبية لغاية حجاجية، "ويضطلع التركيب الإنشائي بدور مهم في العملية الحجاجية؛ إذ تنبني الحجة كثيرا في تركيب إنشائي، وكثيرا ما تعضد التراكيب الإنشائية حججا، بما توفره من إثارة، وما تستدعيه من عواطف وأحاسيس؛ فالتركيب الإنشائي يثير المشاعر، ويشحن من ثمة بطاقة حجاجية مهمة؛ لأن إثارة المشاعر ركيزة مما يقوم عليه الخطاب الحجاجي" [٥١]. وفيما يلي نتوقف عند الأساليب الإنشائية، التي برزت في الحوار المدروس:

ونبدؤها بالاستفهام، فيؤدي الاستفهام وظيفة مهمة في الخطاب الحجاجي، فهو يسهم في إنجاز العمل الحجاجي، سواء أظهر ذلك من خلال الاستفهام الحقيقي، أم من خلال الاستفهام غير الحقيقي، الذي ينجز لغرض بلاغي، وقد ورد الاستفهام في الحوار المدروس في موضعين، جاءا على نمط السؤال البلاغي، الذي لا يتطلب جوابا، وإنما يخرج لتأدية دلالات بلاغية، تخدم السياق الذي وردت فيه، والسؤالان جاءا على لسان مؤمن آل فرعون في مخاطبة قومه:

السؤال الأول: (وَقالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إيمَانَهُ أَتَقْتُلونَ رَجُلا أن يَقولَ رَبِّيَ اللَّـهُ وَقدْ جَاءَكم بالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكمْ).

السؤال الثاني: (وَيَا قوْم مَا لِي أَدْعُوكمْ إلى النَّجَاةِ وَتدْعُونَنِي إلى النَّارِ (٤١))

فالسؤال البلاغي هنا لا يتطلب جوابا من قوم فرعون، وإنما يؤدي دلالة الإخبار عن الإجابة، وهي إجابة بدهية للمتكلم، والمخاطب معا على اعتبار وظيفة السؤال لا تتعدى التذكير بالجواب، ومن هنا كان الإقرار بأن السؤال عن الشيء بلاغيا، يوازي نفيه أو إثباته، فالاستفهام في قوله: (... أَتقْتلونَ رَجُلا...) هو استفهام للإنكار، فبعد أن عرف الرجل المؤمن المصير، الذي ينتظر موسىعليه السلام أنكر بقوة على قومه ما هم مقدمون عليه، فكأنه قال "أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة، وما لكم علة قط في ارتكابها إلا كلمة الحق التي نطق بها، وهي قوله: (ربي الله)" [٥٢]. فالمحاججة هنا، تكمن في أن العقوبة ليست متكافئة مع الفعل الذي هو القول.

أما السؤال الثاني الموجه من المؤمن إلى قومه (ما لي أدعوكم إلى النجاة)... فإنه خرج إلى دلالة التعجب، فبعد أن عرض عليهم أدلته التي تتضمن دعوته لهم إلى الإيمان والنجاة، فرفضوها، ودعوه إلى تركها، فإن ذلك أثار التعجب في نفس الرجل المؤمن، فهو "يعجب من دعوتهم إياه لدينهم، مع حرصه على نصحهم، ودعوتهم إلى النجاة، وما أتاهم به من دلائل على صحة دعوته وبطلان دعوتهم" [٥٣]. كما يضمر الخطاب، هنا، إثارة عزائم هؤلاء القوم إلى أن ما يفعلونه معه ليس الشيم الحميدة، فليس مقابلة دعوة الإيمان بدعوة الكفر من الأمور المحمودة، فالحجاج هنا يأخذ طابعا أخلاقيا من خلال المقارنة بين الدعوتين، دعوة الإيمان ودعوة الكفر.

أما النداء فقد اعتمد الرجل المؤمن، في مخاطبة قومه على أسلوب النداء المكرر (يا قومي)، ولهذا الأمر دلالاته، فالرجل على الإيمان، في حين أن القوم على الكفر، وفي إضافة ياء المتكلم إلى القوم، إشعار لهم بأنه واحد منهم، يريد لهم الخير، وهذا أدعى للإقناع، وللتقبل منهم، وقد ورد هذا الأسلوب في السياقات الآتية:

- (يَا قوْم لكمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّـهِ إن جَاءَنَا ۚ قالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكمْ إلا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكمْ إلا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩))
- (وَقالَ الَّذِي آمَنَ يَا قوْم إنِّي أَخَافُ عَلَيْكم مِّثْلَ يَوْم الأَحْزَابِ (٣٠))
- (وَيَا قوْم إنِّي أَخَافُ عَلَيْكمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢))
- (وَقالَ الَّذِي آمَنَ يَا قوْم اتَّبِعُونِ أَهْدِكمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قوْم إنَّمَا هَـٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩))
- (وَيَا قوْم مَا لِي أَدْعُوكمْ إلى النَّجَاةِ وَتدْعُونَنِي إلى النَّارِ (٤١))

ونلاحظ أن السياقات الغالبة في أسلوب النداء جاءت على لسان الرجل المؤمن، وقد ورد مرة واحدة على لسان فرعون عندما خاطب هامان: (وَقالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (٣٦))، وقد جاء هذا الأسلوب في معرض الوعظ، وإظهار النصيحة لقومهم الضالين عن الحق، مع التذكير بنعم الله عليهم، فقد تزول تلك النعم.

ففي تكرار هذا الأسلوب؛ محاولة لاستمالة قلوبهم إلى الإيمان، وفي قوله: (وَقالَ الَّذِي آمَنَ يَا قوْم اتَّبِعُونِ أَهْدِكمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨))، دعوة إجمالية للرشاد، تفصل الآيات بعدها فحوى هذا الرشاد ، وفيه تعريض شبيه بالصريح بأن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي، وقد فسر الزمخشري تلك الدلالات بقوله: "أجمل لهم، ثم فسر، فافتتح بذم الدنيا، وتصغير شأنها، وثنى بتعظيم الآخرة، والاطلاع على حقيقتها، ثم وازن بين الدعوتين، وحذر وأنذر، واجتهد في ذلك، واحتشد، لا جرم أن الله استثناه من آل فرعون، وجعله حجة عليهم، وعبرة للمعتبرين" [٥٤].

أما الأمر فقد ورد الأمر في موضعين، الأول في خطاب فرعون، في قوله مخاطبا قومه:(وَقالَ فِرْعَوْنُ ذرُونِي أَقتلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ)، وفي قوله مخاطبا هامان: (وَقالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (٣٦))، والثاني في خطاب الرجل المؤمن لقومه: (وَقالَ الَّذِي آمَنَ يَا قوْم اتَّبعُونِ أَهْدِكمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨)).

وقد رأى أبو حيان الأندلسي في تفسيره أقوال فرعون: "ذروني أقتل موسى، ما أريكم إلا ما أرى، يا هامان ابن لي صرحا، حيدة عن محاجة موسىعليه السلام، ورجوع إلى أشياء لا تصح؛ وذلك كله لِمَا خامره من الجزع، والخوف، وعدم المقاومة، والتعرف أن هلاكه، وهلاك قومه على يد موسىعليه السلام، وأن قدرته عجزت عن التأثير في موسى" (٥٥).

أما الفعل (اتبعون) في خطاب الرجل المؤمن، فهو دعوة منه لقومه على سبيل الاستعطاف كي يتبعوا سبيل الحق، فهو فعل كلامي يتطلب من المخاطب فعلا إنجازيا.

الخاتمة:

لقد توصل البحث من خلال تحليله لأسلوب الحوار الحجاجي في سورة غافر إلى جملة من النتائج، لعل من أبرزها:

- إن الحجاج كان سمة أسلوبية في القرآن الكريم في مخاطبة غير المؤمنين، ولعل مما يؤكد النزوع العقلي للحجج التي يوردها الحوار، أنها كانت قائمة على الإقناع الذي يدفع الحجة بالحجة، فلا يترك المجال لرفضها إلا لمستكبر عن الحق، رافض له.
- طرح الحوار الحجاجي في سورة غافر قضية الصراع بين الإيمان والكفر، وقد سار الحجاج فيها على أربعة مستويات، المستوى الأول: عرض القضية، وفرضياتها، والمستوى الثاني عرض الأدلة، وقد تنوعت بين دليل تذكيري، ودليل عقابي تحذيري، والمستوى الثالث نتائج الحوار، والمستوى الرابع مشهد يوم الحساب الذي يبين مصير الكافرين المستكبرين على الرسل.
- حقق الحوار جملة من الأهداف، هدف خاص، موجه إلى النبي محمد ﷺ، يبغي تثبيته، وهدف عام، موجه إلى المتلقين في كل زمان ومكان، يهدف إلى بيان عاقبة الإيمان، وهدف قيمي، يرمي إلى إبراز المعاني الدينية، التي ظهرت على لسان شخصية المؤمن.
- أدت الأفعال الخبرية الواردة في السورة دورا حجاجيا في إقامة الحجة والدليل، وبرزت قوتها في الأثر المتولد عنها من خلال مطابقتها لحال المتلقين، ومناسبتها للسياق الذي قيلت فيه، والمعاني المستفادة منها من خلال القرائن السياقية.
- اضطلع التركيب الإنشائي بدور مهم في العملية الحجاجية؛ إذ بنيت كثير من الحجج على التركيب الإنشائي لا سيما أسلوب الاستفهام والنداء في السورة؛ مما أسهم عضدها للحجج المقدمة، بما توفره من إثارة، وما تستدعيه من عواطف وأحاسيس، فالتركيب الإنشائي يثير المشاعر ويشحن بطاقة حجاجية مهمة؛ لأن إثارة المشاعر ركيزة كثيرا مما يقوم عليها الخطاب الحجاجي.

Abstract

Al'uslub Alhijajiu Lilhiwar Fi Surat Ghafir (A trading approach)

By Abeer Abdelaziz Al Sahlawi

This research seeks to stop the method of dialogue in the Holy Quran, through the analysis of one model .. is the dialogue in Surat (Ghafer), starting from that the Koranic text of a dialogue nature, and that dialogue is the natural area of pilgrims to prove the call of truth arguments and proofs; Hence, the study attempts to understand the semantic nature of the Qur'anic structures at the level of the dialogue. They are deliberative, concerned with the communicative aspect of verbs and their ability to influence.

key words:

Modern rhetoric - discourse - stylistic - pilgrims - influence

الهوامش

(١) في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، نواري سعودي أبو زيد، بيت الحكمة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م: ١٨

(٢) ينظر أمثلة على ذلك، في لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٦، ١٩٩٧م: مادة: دول

(٣) ينظر: في أصول الكلام وتجويد الحوار، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠م: ٢٨

(٤) ينظر: في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، نواري سعودي أبو زيد: ٢٣-٢٤

(٥) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م: ٢٢

(٦) التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر حبّاشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط١، ٢٠٠٧م ص ١٨

(٧) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نخلة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٢م :١٣

(٨) التداولية، النشأة والمفهوم، مؤيد عبيد، مجلة أقلام، العدد: ٥، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٨م: ٣٥

(٩) محاولة في مقاربة تداولية، عبد الستار جبر، مجلة أقلام، العدد: ٥، دار الشؤون الثقافية، بغداد ،٢٠٠٨م:٧١

(١٠) ينظر: المقاربة التداولية، فرونسواز أرمينكو، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٨٧م: ٥

(١١) دلالة مصطلح المقام بين الدرس البلاغي العربي والتصور الوظيفي التداولي، إبراهيم برهم، بحث منشور على الشابكة، على الرابط:
http://brahmiblogspotcom.blogspot.com

(١٢) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠٠٢: مادة: حور

(١٣) لسان العرب، ابن منظور: مادة : حور

(١٤) السابق: مادة: حور

(١٥) فنون الحوار والإقناع، محمد راشد ديماس، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٩م: ١١

(١٦) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٩٥م: ٢٠٦

(١٧) الحجاج والمعنى الحجاجي، أبو بكر العزاوي، مقال ضمن كتاب التحاجج، طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م: ٥٧

(١٨) السابق: ٥٥

(١٩) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٤٥٧

(٢٠) الحجاج والمعنى الحجاجي، أبو بكر العزاوي:٥٥

(٢١) نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، ١٩٩٨م: ٣٥١
(٢٢) السابق: ٣٥٢
(٢٣) الوصائل في تحليل المحادثة، دراسة في استراتيجيات الخطاب، خليفة الميساوي، عالم الكتب الحديث، إربد، ط١، ٢٠١٢م: ٢٠٩
(٢٤) السابق: ٧٢
(٢٥) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨م: ٢٢٦
(٢٦) الخطاب القرآني، مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٨م: ١٨١
(٢٧) سيميائيات التواصل وفعالية الحوار، المفاهيم والآليات، أحمد يوسف، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، ط١، ٢٠٠٤م:٨٧
(٢٨) ينظر: أساليب الإقناع في سورة يوسف، دراسة لسانية تداولية، أحمد مزواغي، رسالة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٢م: ٨١
(٢٩) ينظر: سيميائيات التواصل، وفعاليات الحوار، أحمد يوسف: ١٧٣
(٣٠) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي) ٦٧١هـ(، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣م: ١٥/ ٢٨٨
(٣١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي) ٧٧٤هـ(، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩م: ٧/ ١٢٦
(٣٢) السابق: ٧/ ١٢٧
(٣٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٢٨٨/١٥
(٣٤) الحوار في القرآن الكريم، نماذج ومبادئ، زكي بن عبد الله الميلاد، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، ط٥، ٢٠١٧م: ٣٦
(٣٥) السور المكية هي: الأعراف، يونس، إبراهيم، الإسراء، الكهف، طه، الشعراء، القصص، غافر. والسورتان المدنيتان، هما: البقرة، والمائدة.
(٣٦) في أصول الحوار وتجويد علم الكلام، طه عبد الرحمن: ٦٥
(٣٧) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ١٣٩/٧
(٣٨) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٧/ ١٤١
(٣٩) المرجع السابق: ٧/ ١٤٢
(٤٠)تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٧/ ١٤٢
(٤١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٧/ ١٤٤
(٤٢) ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.
(٤٣) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠٠١م: ٣٧
(٤٤) البحر المحيط في أصول الفقه، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: عبد القادر عبد الله العاني، راجعه، سليمان الأشقر، وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية، الكويت، ط١، ١٩٩٢م: ٢/ ٣٤
(٤٥) التداولية عند العلماء العرب،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية عند العرب، مسعود صحراوي، دار التنوير، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م: ٦٥
(٤٦) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن: ٢٦٠
(٤٧) دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم،مقاربة تداولية، حكيمة بو قرومة، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزو، الجزائر، العدد: ٣، ٢٠٠٨م: ١١-١٢
(٤٨) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الإمام محمد بن عمر الزمخشري، تحقيق: مصطفى أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م: ٤/ ١٦٤
(٤٩) تفسير التحرير والتنوير، المعروف بتفسير ابن عاشور التونسي، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ الإسلامي،، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م : ٢٤/ ١٩١
(٥٠) تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م: ٣٨٨/٦

(٥١) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت،ط٢، ٢٠٠٧م : ١٤٠
(٥٢) الكشاف للزمخشري: ٤/ ١٦٢
(٥٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٢٤/ ٢٠٢
(٥٤) الكشاف، للزمخشري: ٤/ ١٦٨
(٥٥) البحر المحيط، أبو حيان الغرناطي)محمد بن يوسف(، تحقيق: عبد الرزاق المهيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٠م: ٧/ ٦١٧

مصادر البحث ومراجعه:

١. أساليب الإقناع في سورة يوسف، دراسة لسانية تداولية: أحمد مزواغي، رسالة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر ،٢٠١٢م
٢. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م
٣. أصول التربية الإسلامية وأساليبها: عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٩٥م
٤. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: محمود أحمد نخلة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة،٢٠٠٢م
٥. البحر المحيط: أبو حيان الغرناطي، محمد بن يوسف، تحقيق: عبد الرزاق المهيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٠م
٦. البحر المحيط في أصول الفقه: للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: عبد القادر عبد الله العاني، راجعه: سليمان الأشقر، وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية، الكويت، ط١، ١٩٩٢م
٧. التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر حباشة ،دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط١، ٢٠٠٧م
٨. التداولية، النشأة والمفهوم، مؤيد عبيد، مجلة أقلام، العدد: ٥، دار الشؤون الثقافية، بغداد ،٢٠٠٨م
٩. تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م
١٠. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩م
١١. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض ،٢٠٠٣م
١٢. الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م
١٣. الحجاج والمعنى الحجاجي: أبو بكر العزاوي، مقال ضمن كتاب التحاجج، طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط، مطبعة النجاح، الدار البيضاء ،٢٠٠٦م
١٤. الحوار في القرآن الكريم، نماذج ومبادئ: زكي بن عبد الله الميلاد، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، ط٥، ٢٠١٧م
١٥. الخطاب القرآني، مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي: سليمان عشراتي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،١٩٩٨م
١٦. دلالة مصطلح المقام بين الدرس البلاغي العربي والتصور الوظيفي التداولي: إبراهيم برهمي، بحث منشور على الشابكة، على الرابط:
http://brahmiblogspotcom.blogspot.com
١٧. سيميائيات التواصل وفعالية الحوار، المفاهيم والآليات: أحمد يوسف، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، ط١، ٢٠٠٤م
١٨. فنون الحوار والإقناع: محمد راشد ديماس، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت ،١٩٩٩م
١٩. في أصول الكلام وتجويد الحوار: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠م
٢٠. في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء: نواري سعودي أبو زيد، بيت الحكمة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م
٢١. لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٦، ١٩٩٧م

٢٢. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨م
٢٣. محاولة في مقاربة تداولية: عبد الستار جبر، مجلة أقلام، العدد: ٥، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٨م
٢٤. مفردات غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي ،دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠٠٢م
٢٥. المقاربة التداولية: فرونسواز أرمينكو، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٨٧م
٢٦. نظرية الحجاج في اللغة: شكري المبخوت، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، ١٩٩٨م
٢٧. الوصائل في تحليل المحادثة، دراسة في استراتيجيات الخطاب: خليفة الميساوي، عالم الكتب الحديث، إربد، ط١، ٢٠١٢م